غزوة بدر الكبرى

عظات وعبر

فضيلة الشيخ

عبد الله بن صلفيق الظفيري

حفظه الله

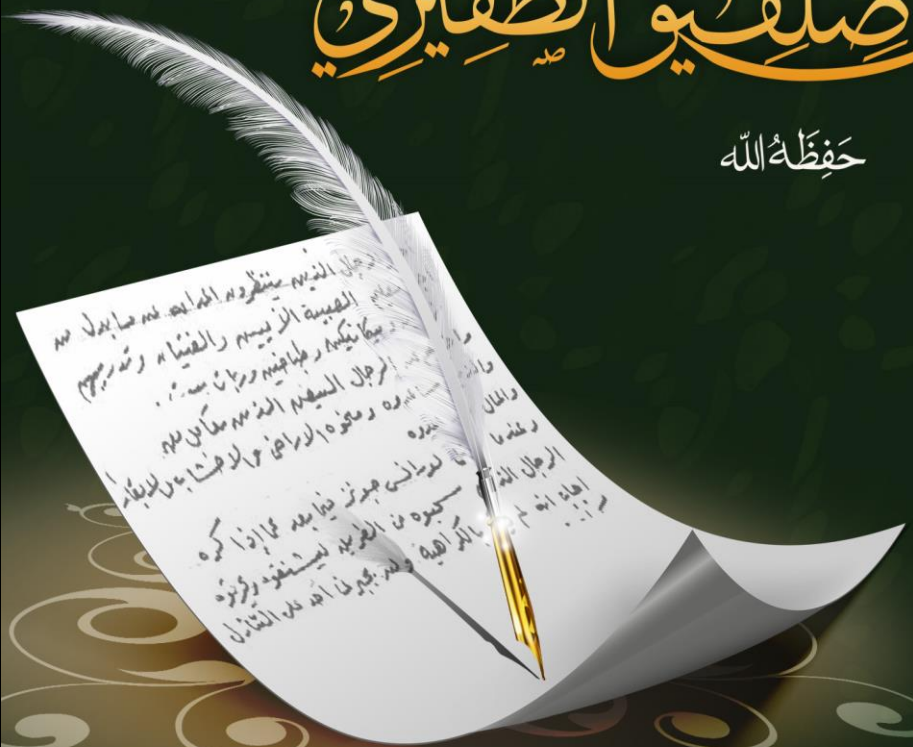

قام بها فريق التفريغ بموقع ميراث الأنبياء

Miraath.Net

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَسرُّ مَوْقِعَ مِيراثِ الأنبياءِ أن يُقدِّمَ لكُم تسْجِيلًا لمحاضرة بعنوان:

غزوة بدر الكبرى عظات وعبر

ألقاه

فضيلة الشيخ عبدالله بن صلفيق الظفيري

-حفظه الله تعالى-

يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر رمضان عام خمسة وثلاثين وأربعمائة وألف للهجرة النبوية، على إذاعة موقع ميراث الأنبياء.

نسأل اللّه- سبحانه وتعالى- أن ينفع بها الجميع.

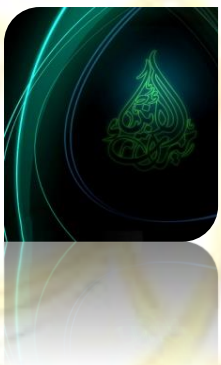

أن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله –صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الله– سبحانه وتعالى– عندما بعث نبيه محمدًا –صلى الله عليه وسلم– داعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرا، لم يتركه هملا، بل وعده الله بالنصر المبين، وتكفل برعايته وحفظه ووعد بنصره وهذا الوعد إنما هو لنبيه ولمن تبعه إلى قيام الساعة، فإن النبي –صلى الله عليه وسلم– قد أعطاه الله أمورًا خمسة لم يعطهن نبيٌ قبله؛ منها: نصر بالرعب – صلى الله عليه وسلم– مسيرة شهر، وهذا النصر والوعد به مكفولٌ للنبي – صلى الله عليه وسلم– ولمن تبعه من أمته، كما قال الله – عز وجل–: ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [محمد: ٧]،

وكما قال– عزوجل–:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥]

ووقائع الأمة الإسلامية منذ بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم– في انتصارتها على الكافرين والمشركين بسبب تمسكهم بالإيمان الصادق والتوحيد الخالص والاتباع للرسول – صلى الله عليه وسلم– دليلٌ على ذلك، وهذه الفتوحات وهذا الانتصارات للمسلمين على أعدائهم من اليهود والنصارى والفرس لأكبر دليلٍ على هذا الأمر الذي ذكرته من أن الله تكفل للأمة بالنصر المبين

إذا طبقت دينها، وعملت بشروط النصر المبين، من إقامة شريعة الله وإقامة توحيد الله والتمسك بالسنة والعمل بالإخلاص لله- سبحانه وتعالى- وأن يكون جهادها يراد به أن تكون كلمة الله هي العليا ويراد به جهادًا في سبيله لا رياء فيه ولا سمعة، ولا مبني على انحراف فكري وطرق بدعية.

وغزوة بدر التي حصلت في رمضان في اليوم السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة دليلٌ على أن الله- تعالى- ينصر عباده المؤمنين وأن الله- سبحانه وتعالى- لا يخذل نبيه بعكس ما يظنه المنافقون الظن السيء من أن الله يترك نبيه، وأن دينه سيضمحل وسيزول وهذا ظن الجاهلية وظن المشركين والمنافقين، وأما ظن المؤمنين فإنه يظنون بالله الظن الحسن وأن الله- عز وجل- لا يهمل نبيه، ولا يترك عباده المخلصين المؤمنين الموحدين، وغزوة بدر تدلنا على أن واقع المسلمين اليوم مع كثرة عدد وعتاد وغلبة اليهود والنصارى والفرس لهم بسبب البعد عن السنة ومنهج السلف فكثرت فيهم الجراحات والهزائم، وتغلب على الأمة في أمرها وشأنها الرويبضة وأهل البدع والأهواء من أهل التكفير والانحراف فأخذوا يسومون الأمة إلى الهاوية، ويجرونها إلى مهاوي الردى واستغلهم الأعداء في ضرب المسلمين، ودخلت فيهم الاستخبارات العالمية أعني في أولئك الذين يدعون الجهاد وهم عن الجهاد بعيد والإسلام بريء من أفكارهم كبراءة الدم، كبراءة يوسف من الذئب أو دم يوسف من الذئب، كالقاعدة وداعش، وغيرهم من أصحاب الرايات البدعية الذين خالفوا منهج السلف وأصبحوا كما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان.

غزوة بدر تخبرنا ونأخذ منها أعظم الدروس، بأن النصر من الله –سبحانه وتعالى– حيث إن المسلمين خرجوا لا يريدون قتالا، ولم يستعدوا للقتال وعددهم قليل وأعداؤهم أكثر منهم ومستعدون للقتال، وأتوا بخيلهم وركابهم ومسلحين ومدججين بالسلاح، ومع ذلك نصر الله عباده الموحدين.

غزوة بدر الكبرى فيها من العظات والعبر والدروس للمسلمين اليوم بأنه لا عز لهم على أعدائهم في هذا الزمان ولا سبيل لاسترجاع مقدساتهم ولا سبيل لهم إلى إخراج أعدائهم إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة ومنهج السلف، فإن رجعوا إلى الله– تعالى– رجوعًا صادقًا وحكموا الكتاب والسنة، وصدقوا مع الله –عز وجل –، فإن الله يؤيدهم بجنود لا نعلمها، كما أيد الله محمدًا –صلى الله عليه وسلم– والصحابة بالملائكة يقاتلون معهم فأعزهم الله –عز وجل– ورفع راية الإسلام وأصبحت غزوة بدر شعارًا للمسلمين وراية للنصر وعلامة، لأن العز والنصر والتمكين بيد من آمن بالله وعمل صالحا، وصدق مع الله –عز وجل– وأخلص لله –عز وجل– في قوله وعمله، وأنه يريد من جهاده وعمله الدار الآخرة لا رياء ولا سمعة ولا مغنمًا، ولا سمعة ولا شهرةً، يخرجون متواضعين خاضعين لله كما كان النبي –صلى الله عليه وسلم–.

غزوة بدر كانت في رمضان بعد تسعة عشر شهرًا من مهاجره –صلى الله عليه وسلم– أي في السنة الثانية، ولم يخرج النبي –صلى الله عليه وسلم– يريد قتالًا، وإنما بلغه خبر عير قريش عائدة من الشام إلى مكة بصحبة أبي سفيان، وكان معه أربعين رجلًا، وفي العير أموال عظيمة لقريش،

فندب الرسول –صلى الله عليه وسلم– الناس للخروج إليها، وذلك أن قريشًا لم يكن بينهم في ذاك الوقت عهدٌ بين المسلمين وبينهم، في عدم القتال، وأيضًا هم كانوا يتربصون بالرسول – صلى الله عليه وسلم – الدوائر وأخرجوا المسلمين من ديارهم وأموالهم، فكان الرسول –صلى الله عليه وسلم– محقًا في أخذ عير قريش وتجارة قريش،

خرج الرسول –صلى الله عليه وسلم– وقد ندب أصحابه إلى ذلك من المهاجرين والأنصار، ولم يحتفل احتفالًا بليغًا، أي لم يستعد –صلى الله عليه وسلم– استعداد قتال وغزو؛ لأنه خرج مسرعًا في ثلاثمائة وبضع عشرة رجلًا، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان، فرس للزبير بن العوام، وفرسٌ للمقداد بن الأسود الكندي، وكان معهم سبعون بعيرًا، يعتقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد، فكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وعلي ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيرًا، وهكذا باقي الصحابة –رضوان الله عليهم–.

خرج الرسول –صلى الله عليه وسلم– من المدينة واستخلف عليها ابن أم مكتوم، ولكن لما وصل الروحاء وهي على نحو أربعين ميلًا من المدينة، رد أبا لبابة بن عبد المنذر واستعمله على المدينة، وفع اللواء إلى مصعب بن عمير، والراية الواحدة إلى علي بن أبي طالب، والأخرى التي للأنصار إلى سعد بن معاذ، فخرج الرسول –صلى الله عليه وسلم– إلى بدر، وهو مكان مجمع ماء، يسمى بدر وادي وهو الوادي الذي حصل فيه القتال كما سيأتي، وأبو سفيان لما بلغه خروج النبي –صلى الله عليه وسلم–، استصرح قريشًا وأرسل لهم بالنفير إلى عيرهم يخبرهم أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– والصحابة خرجوا ليستولوا على تجارتهم،

وبلغ الخبر أهل مكة قريش، فنهضوا مسرعين وخرجوا كلهم ولم يتخلف أحد من أشرافهم سواء أبو لهب، فإنه عوض عنه رجلًا كان له عليه دين، وحشدوا فيمن حولهم من قبائل العرب ولم يتخلف العرب ممن حول قريش أحدٌ إلا بني عجل فلم يخرج معهم منهم أحد،

وخرجت قريش خرجوا كبرًا، وفخرًا، وعصبيةً، كما أخبر الله- عز وجل-: ﴿ بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ كما قال- عز وجل- مبينًا حالهم: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [الأنفال: ٤٧]

وهذه تربية من الله- سبحانه وتعالى- لعباده المؤمنين الموحدين أن يكون فيهم التواضع والخضوع لله -سبحانه وتعالى-، لا يخرجون غرورًا وعجبا، كحال قريش فإن هذه ليست من خصال المؤمنين ولهذا لما فتح النبي -صلى الله عليه وسلم- مكة، دخلها مطأطأ رأسه -صلى الله عليه وسلم- متواضعًا لله- عز وجل- وكان في غزوة بدر يدعو ويستغيث الله -سبحانه وتعالى-، وأقبلوا بهذه الحال، أي قريش كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- بحدهم وحديدهم، تحاده وتحاد رسوله، أي محادة لله -عز وجل-، ومحادة لرسوله -صلى الله عليه وسلم-، يريدون أن يقضوا على الإسلام، ويستأصلوا الإسلام، ولكن كما قال الله -عز وجل-: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [الصف: ٨]

فمهما حاول الكفار أن يستأصلوا الإسلام فلن يستطيعوا إلى ذلك سبيلا، ولكن ما يصاب الأمة من هزائم وتردي إنما هو بسبب بعدهم عن التوحيد، وانتشار الشرك والبدع، والأهواء وأخذ يتكلم بزمام أمر الأمة الرويبضة من دعاة الفتن، وترك أهل السنة والعلماء، وأصبحت

الرايات التي يقاتل فيها اليهود وأعداء الله إما رايات بدعية تكفيرية أو رايات قومية أو غير ذلك من الرايات العصبية، التي لا تنفع أصحابها شيئًا، ولا تنصر ولا تكسر عدوا، وإنما ينكسر عدو الله بالإيمان الصادق والتوحيد الخالص، والاتباع الصحيح للرسول –صلى الله عليه وسلم-.

وغزوة بدر تنبيه مهم لجميع المسلمين حكامًا ومحكومين، أن إذا أرادوا أن ينتصروا على أعدائهم فليعودوا إلى ما كان عليه الرسول –صلى الله عليه وسلم-، لينصرهم الله كما نصر نبيه في بدر، وفي سائر الغزوات.

جاءت قريش على حمية وغضب وحنق على رسول الله –صلى الله عليه وسلم-، وعلى أصحابه لما يريدون من أخذ عيرهم وقتل من فيها، فجمع الله المسلمين والكافرين في بدر على غير ميعاد، لحكمة يقضيها –سبحانه وتعالى-، وهو الحكيم –سبحانه وتعالى-، يفعل لعباده ما هو خيرٌ لهم، ويقضي أمره الكوني بما يريد – عز وجل-، كما قال –عز وجل-: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢]

لم يرد الرسول –صلى الله عليه وسلم- حربًا ولم يفطن لقريش أن تقاتل محمدًا ولم يظنوا أنهم سيجتمعون في هذا المكان ولكن اجتمعوا بإرادة الله وبأمره القدري الكوني –سبحانه وتعالى-، لأمر يعلمه- عز وجل -، ولما فيه سيكون لاحقًا عزًا وتمكينًا ونصرًا للمسلمين.

ولما بلغ رسول الله –صلى الله عليه وسلم- خروج قريش استشار أصحابه، وهذا أدب منه – صلى الله عليه وسلم-، وامتثالًا لأمر ربه وتوجيه ربه له كما قال –عز وجل-: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ، فكان يستشير أصحابه –صلى الله عليه وسلم–، فتكلم المهاجرون فأحسنوا ثم استشارهم ثانيًا وكان الكلام موجهٌ للجميع ولكن كان يميل إلى قريش بالكلام، وهو تنبيه للأنصار ماذا يقولون: فتكلم المهاجرون فأحسنوا مرة أخرى ثم استشارهم ثالثة، ففهمت الأنصار أنه يعنيهم، فهم الأنصار أنه بكلامه واستشارته يريد رأيهم، فبادر سعد بن معاذ، فقال: «يا رسول الله، كَأَنَّكَ تُعَرِّضُ بنا؟»

وكان –صلى الله عليه وسلم– إنما يعنيهم، لأنهم بايعوه على أن يمنعوه من الأحمر والأسود في ديارهم، فلما عزم على الخروج استشارهم ليعلم ما عندهم، فقال له سعد –رضي الله عنه–: «لَعَلَّكَ تَخْشَى أَنْ تَكُون الأَنصارُ تَرَى حقًا عليها أن لا ينصروك إلا فى ديارها، وإنى أقول عن الأنصار، وأُجِيب عنهم:، ثم تكلم فقال: فاظْعَنْ حَيْثُ شِئْت– يعني ارحل أينما تريد– وَصِلْ حَبْلَ مَنْ شِئْتَ–أي صل أي جبل تريده– واقْطَعْ حَبْلَ مَنْ شِئْتَ، وخُذْ مِنْ أَمْوالِنا ما شِئتَ، وأعطنا مَا شِئْتَ، ومَا أَخَذْتَ مِنَّا كان أَحَبَّ إلينا مِمَّا تركتَ، وَمَا أَمَرْتَ فيهِ مِنْ أَمْر فَأَمْرُنا تَبَع لأَمْرِكَ، فَوَاللهِ لئِنْ سِرْتَ حتَّى تَبْلُغَ البَرْكَ مِنْ غَمدان لَنَسِيرَنَّ مَعَكَ، وَوَاللهِ لَئِنِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هذَا البَحْرَ خُضْنَاهُ مَعَكَ، وقال له المقداد: لا نقُولُ كما قالتْ بنو إسْرائيلَ لِمُوسى ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] ولكِنْ نقاتلُ عن يمينِك وعن شمالِك ومن بَيْنَ يَدَيْكَ ومن خَلْفِك»،

فلما سمع الرسول –صلى الله عليه وسلم – كلام الأنصار أشرق وجهه –صلى الله عليه وسلم–، وسر بما سمع من أصحابه، فقال –صلى الله عليه وسلم– كلمة المتوكل على الله الواثق

بالله المعتمد على الله –عز وجل–: «سِيروا وأَبْشروا، فإنَّ الله قَدْ وَعَدَني إحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وإنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَصارعَ القَوْمِ»،

فسار رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى بدر، وخفض أبو سفيان فلحق بساحل البحر، يعني ترك الجانب الذي يريد أن يمر به إلى بدر إلى مكة فلما بلغه خبر الرسول –صلى الله عليه وسلم– مال إلى الساحل، ساحل البحر فابتعد عن طريق الرسول –صلى الله عليه وسلم–، فلما رأى أبو سفيان أنه قد نجى من النبي –صلى الله عليه وسلم– والصحابة وحفظ العير، كتب إلى قريش أن ارجعوا فإنكم إنما خرجتم لتحرزوا عيركم فأتاهم الخبر، وهم بالجحفة وصلوا الجحفة فهموا بالرجوع لكن إرادة الله فوق كل شيء وأن الله –عز وجل– يريد أن يذل الشرك، بإرادته الكونية –سبحانه وتعالى–، فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نقدم بدرا، فنقيم بها ونطعم من حضرنا من العرب وتخافنا العرب بعد ذلك، فأشار الأخنث بن شُريق عليهم بالرجوع فعصوه فرجع هو وبنوا زهرة، فلم يشهد بدرًا زهريٌ فاغطبطت بنو زهرة برأي الأخنث يعني ربحت، بعكس القبائل الأخرى لم ترجع وسارت مع قريش وحصل لهم ما حصل، وأرادت بنو هاشم الرجوع فاشتد عليهم أبو جهل بالكلام، وقال: لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع، فساروا وسار رسول الله –صلى الله عليه وسلم– حتى نزل عشيًا، أدنى ماء من مياه بدر فقال – صلى الله عليه وسلم–: «أَشيرُوا عَلَيَّ في المَنْزِل؟» أي أين ننزل من بدر؟

الحُبَابُ بنُ المنذر: « يَا رَسُولَ اللهِّ أَنَا عَالِمٌ بِهَا وَبِقُلُبِهَا، إِنْ رَأَيْتَ أَنْ نَسِيرَ إِلَى قُلُبٍ قَدْ عَرَفْنَاهَا، فَهِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ عَذْبَةٌ فَنَنْزِلَ عَلَيْهَا وَنَسْبِقَ الْقَوْمَ إِلَيْهَا وَنُغَوِّرَ مَا سِوَاهَا مِنْ الْمِيَاهِ » أي ندفن باقي الآبار حتى لا يشرب قريش ويبقى عندنا المياه العذبة التي تكون عندنا.

وسار المشركون سراعًا يريدون الماء وبعث عليًا أي النبي – صلى الله عليه وسلم- وسعدًا والزبير إلى بدر يلتمسون الخبر يستكشفون قريشًا فقدموا أي رجعوا إلى الرسول ومعهم عبدان لقريش ورسول الله –صلى الله عليه وسلم- قائمٌ يصلي فسألهما أصحابه: « مَنْ أَنْتُمَا؟ قَالَا: نَحْنُ سُقَاةٌ لِقُرَيْشٍ، فَكَرِهَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ وَوَدّوا لَوْ كَانَا لِعِيرِ أَبِي سُفْيَانَ فَلَمّا سَلّمَ رَسُولُ اللهِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ لَهُمَا: أَخْبِرَانِي أَيْنَ قُرَيْشٌ؟ قَالَا: وَرَاءَ هَذَا الْكَثِيبِ. – يعني قريبين من بدر – فَقَالَ كَمْ الْقَوْمُ؟ فَقَالَا: لَا عِلْمَ لَنَا، فَقَالَ كَمْ يَنْحَرُونَ كُلّ يَوْمٍ؟ فَقَالَا: يَوْمًا عَشَرًا، وَيَوْمًا تِسْعًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْقَوْمُ مَا بَيْنَ تِسْعِمِائَةٍ إِلَى الْأَلْفِ»

فَأَنْزَلَ اللهُ عَزّ وَجَلّ فِي تِلْكَ اللّيْلَةِ مَطَرًا وَاحِدًا- أي مطرًا مستمرًا- فَكَانَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ – أي من جهة مكان المشركين –وَابِلًا شَدِيدًا مَنَعَهُمْ مِنْ التّقَدّمِ وَكَانَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَلّا – أي خفيفا – طَهّرَهُمْ بِهِ وَأَذْهَبَ عَنْهُمْ رِجْسَ الشّيْطَانِ وَوَطّأَ بِهِ الْأَرْضَ وَصَلّبَ بِهِ الرّمْلَ وَثَبّتَ الْأَقْدَامَ وَمَهّدَ بِهِ الْمَنْزِلَ وهذه كانت أولى بشائر النصر من رب العالمين، وهذا كما قال –عز وجل-: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال: ١١]،

فَسَبَقَ رَسُولُ اللهِّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- وَأَصْحَابُهُ إلَى الْمَاءِ فَنَزَلُوا عَلَيْهِ شَطْرَ اللّيْلِ وَصَنَعُوا الْحِيَاضَ - جمع حوض الذي يجمع الماء - وَبُنِيَ لِرَسُولِ اللهِّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- عَرِيشٌ يَكُونُ فِيهَا عَلَى تَلّ يُشْرِفُ عَلَى الْمَعْرَكَةِ – المعركة كانت في واد، فبنوا للرسول – صلى الله عليه وسلم على رأس تل عريشا يتابع القتال – صلى الله عليه وسلم -، وَمَشَى فِي مَوْضِعِ الْمَعْرَكَةِ – أي في ساحة المعركة – صلى الله عليه وسلم -، وَجَعَلَ يُشِيرُ بِيَدِهِ هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ، وَهَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ، وَهَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ إنْ شَاءَ اللهُ فَمَا تَعَدّى أَحَد مِنْهُمْ مَوْضِعَ إشَارَتِهِ – صلى الله عليه وسلم -.

وهذه البشارة الثانية من بشائر النصر، مما أوحى الله لنبيه –صلى الله عليه وسلم–، كما قال–تعالى–: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ١٠]

الله هو صاحب العزة وهو صاحب الحكمة يهزم هذا وينصر هذا يعز هذا ويذل هذا بإرادته الكونية –سبحانه وتعالى–؛ لأنه يضع الأمور في غاية الحكمة– عز وجل–.

فَلَمّا طَلَعَ الْمُشْرِكُونَ وَتَرَاءَى الْجَمْعَانِ– جمع المسلمين وجمع الكافرين، بدأ الرسول –صلى الله عليه وسلم– يستغيث بالله –عز وجل–، هذه تربية أن اللجوء إلى الله في جميع الأحوال وهذا من ثمار التوحيد ومن علامة الصدق والإيمان والاستيقان بأن النصر من الله ليس بكثرة عدد، ولا عتاد، وإنما النصر من الله –عز وجل–، يعطيه الله – عز وجل– لمن استحقه بسبب صدقه

وإخلاصه وإيمانه واتباعه، فلجأ الرسول –صلى الله عليه وسلم– إلى ربه، فكان يدعو فيقول –:

«اللّهُمّ هَذِهِ قُرَيْشٌ جَاءَتْ بِخُيَلَائِهَا وَفَخْرِهَا، جَاءَتْ تُحَادّك، وَتُكَذّبُ رَسُولَك »،

وَقَامَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ – قام – صلى الله عليه وسلم– وأخذ يطيل يرفع يديه يستغيث بالله – وَاسْتَنْصَرَ رَبّهُ وَقَالَ: اللّهُمّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللّهُمّ إنّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ "، فَالْتَزَمَهُ الصّدّيقُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَبْشِرْ فَوَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُنْجِزَنّ اللهُ لَكَ مَا وَعَدَك" لأنه الصديق صاحب الصدق والإيمان صادق بأمر ربه، وصادق أن الله ينجز وعده –لنبيه –صلى الله عليه وسلم– ويعلم علم اليقين ويظن الظن الصالح الحين بربه لأن الله لا يهمل نبيه ولا يترك عباده الموحدين، وهذا ظن المؤمنين.

أما ظن المنافقين وظن الجاهلين وظن المشركين أن الله سيهمل دينه وسيخذل نبيه وهذا لا يكون عند المؤمنين انظر إلى هذا الظن عند أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– يقول لمحمد – صلى الله عليه وسلم– يواسيه يقول: يَا رَسُولَ اللهِ أَبْشِرْ فَوَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُنْجِزَنّ اللهُ لَكَ مَا وَعَدَك– ثم أقبل المسلمون يستنصرون بالله– عز وجل– يلجئون إلى الله يتضرعون إلى الله هذا الواجب على المسلم أن يلجأ إلى الله؛ لأن العز بيد الله والنصر بيد الله والغلبة بيد الله– عز وجل–

وَاسْتَنْصَرَ الْمُسْلِمُونَ اللهَ وَاسْتَغَاثُوهُ وَأَخْلَصُوا لَهُ وَتَضَرّعُوا إلَيْهِ –فماذا حصل؟ – فَأَوْحَى اللهُ إلَى مَلَائِكَتِهِ أن ينزلوا من السماوات إلى الأرض وعلى رأسهم جبريل– عليه السلام–: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢]

هذا وحي إلى الملائكة، أمر إلى الملائكة فنزل جبريل والملائكة، وسيأتي أن الصحابة يرون رؤوسًا تتطاير من المشركين وليس عندهم أحد من الصحابة، وإنما هو مدد من الله –عز وجل– الملائكة تقاتل مع المسلمين، وَأَوْحَى اللهُ إِلَى رَسُولِهِ – صلى الله عليه وسلم – ﴿ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الْأَنفَالِ ٩] أو مُردَفين قراءتين قراءة بالكسر وبالفتح.

وَفِي جاء في (سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ) ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٤ – ١٢٥]

وبات رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يصلي إلى جذع شجرة هناك، يقوم الليل وهذا أيضًا من أسباب النصر، اللجوء إلى الله وكثرة الذكر كما أمر الله نبيه والمؤمنين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥] ،﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ ﴾ أي من الكفار ﴿ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ لعلكم أي رجاء حصول النصر والفلاح لكم.

فبات رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يصلي ويقوم الليل، وكانت ليلة الجمعة، السابعة عشرة من رمضان في السنة الثانية من هجرته –صلى الله عليه وسلم–.

فلما أصبحوا أقبلت قريش في كتائبها واصطف الفريقان، فمشى حكيم بن حزام وعتبة بن ربيعة في قريش، أن يرجعوا ولا يقاتلوا فأبى ذلك أبو جهل لأنهما عرفوا أن الأمر سينقلب على

قريش لما رأوا من الأسباب الواضحة أمامهم، ولكن أبا جهل رفض وجرى بينه وبين عتبة كلام، وأمر أبو جهل أخا عمرو بن الحضرمي أن يطلب دم أخيه عمر، فكشف عن أُسته وصرخ واعمراه فحمي القوم، ونشبت الحرب وعدل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– صفوف الصحابة ثم رجع إلى العريش هو وأبو بكر خاصة، وقال سعد بن معاذ في قومٍ من الأنصار على باب العريش يحمون رسول الله –صلى الله عليه وسلم–،

وخرج عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة يطلبون المبارزة، وهذا كان نوع من أنواع بداية القتال عند العرب، أن يخرج مجموعة من هؤلاء ومجموعة من هؤلاء يتبارزون، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار، عبدالله بن رواحة، وعوف، ومعوذ بن عفراء، فقالوا لهم: من أنتم فقالوا من الأنصار، فقالوا أي قريش، أكفاء كرام وإنما نريد بني عمنا يريدون من المهاجرين من قريش، نريد بني عمنا يقابلوننا فبرز إليهم علي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث، وحمزة بن عبد المطلب أسود الإسلام، فقتل عليٌ قرنه الوليد الذي قابله، الوليد بن عتبة قتله علي، وقتل حمزة قرنه عتبة بن ربيعة، وقيل شيبة، واختلفا عبيدة بن الحارث وقرنه ضربتين يعني كاد الوليد بن عتبة يقتل عبيد بن الحارث، فانقض علي بن أبي طالب وحمزة على قرن عبيدة الذي هو الوليد فكرا عليه فقتلاه واحتملا عبيدة، وقد قطعت رجله فلم يزل ضمنا حتى مات بالصفراء، يعني قتل واستمر مرضه منها حتى مات،

وكان علي– رضي الله عنه– يقسم بالله لنزلت هذه الآية فيهم ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ ﴾ [الحج: ١٩] وبعد هذه المبارزة حمي الوطيس بين المسلمين وبين المشركين واستدارت رحى الحرب

واشتد القتال، وأخذ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في الدعاء والابتهال انظر التضرع لله – عز وجل– هذا ثمرة التوحيد ثمرة الإيمان ثمرة الاعتراف بالنفس من ضعف لها، واعتراف ويقين بقوة الله –سبحانه وتعالى–، وأن النصر بيده –عز وجل–، فلجأ إلى الله –عز وجل– ويتضرع إلى الله –عز وجل–، فأخذ يدعو ويبتهل إلى الله ويناشد ربه– عز وجل– حتى سقط رداءه من منكبيه –صلى الله عليه وسلم– فرده عليه الصديق ويقول له: "بَعْضَ مُنَاشَدَتِكَ رَبَّكَ يا رسول الله فَإِنَّهُ مُنْجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ" كأنه يقول هون عليك يا رسول الله، فكان الرسول يشتد ويلجأ إلى الله –عز وجل– ويهون عليه ويسليه أبو بكر –رضي الله عنه–، ثم أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة، نام نعس وأخذ القوم النعاس وهم في دائرة الحرب الصحابة ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ [الأنفال: ١١] من ينام في حالة الحرب؟

القلوب فزعة، القلوب مضطربة، والسيوف أمامهم، ومع ذلك أصابهم من النعاس من رب العالمين، هذا من علامات النصر ومن البشرى بنصر الله لعباده المؤمنين، وأخذ القوم النعاس في حال الحرب، ثم رفع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: " أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ هَذَا جِبْرِيلُ عَلَى ثَنَايَاهُ النَّقْعُ" أي أبشر فإن جبريل نزل يقاتل معنا، وجاء النصر وأنزل الله جنده الملائكة وأيد رسوله والمؤمنين ومنحهم أكتاف المشركين أسرًا وقتلًا وأخذوا يهربون من كل جانب فقتلوا سبعين منهم وأسروا سبعين آخرين.

وأخبر الله– عز وجل– عن المشركين فقال: غر هؤلاء دينهم أصابهم العجب والغرور بحالهم دينهم الشرك والباطل، وقد غرهم الشيطان كما قال– عز وجل–: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ

أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ

﴿ [الأنفال: ٤٨] ،

فأخبر الله- عز وجل- بهذه الآيات أن النصر يكون بالتوكل على الله -عز وجل- لا بالكثرة ولا بالعدد، والله عزيز لا يغالب، حكيم ينصر من يستحق النصر وإن كان ضعيفًا، فعزته وحكمته أوجبت نصر الفئة المتوكلة عليه- عز وجل-.

هذا مجمل عام لما حصل من قتال ونصر نصر الله- عز وجل- به عباده الموحدين المؤمنين، وقد حصلت مواقف تدل وتنبئ على أن أولئك القوم يريدون الآخره يريدون وجه الله يريدون الجنة فلهذا أعزهم الله- عز وجل-، حيث أخبرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- أن الله أوجب الجنة لمن استشهد في سبيله فلما سمع ذلك عمير بن الحمام قال: «يَا رَسُولَ اللهِّ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ بَخٍ بَخٍ يَا رَسُولَ اللهِّ، قَالَ مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ ؟ قَالَ لَا وَاللهِّ يَا رَسُولَ اللهِّ إِلَّا رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا قَالَ فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ثُمَّ قَالَ لَئِنْ حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَ حَتَى قُتِلَ» -رضي الله عنه-، فكان أول قتيل من الصحابة في الإسلام وفي غزوة بدر.

أخذ الرسول -صلى الله عليه وسلم- ملءَ كفه من الحصباء، الحصى فرمى بها وجوه العدو، فلم تترك رجلًا منهم إلا ملأت عينيه وهذه معجزة وشغلوا بالتراب في أعينهم المشركين وشغل

المسلمون بقتلهم فأنزل الله -عز وجل- لنبيه قوله -عز وجل-: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ أي من الحصى ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ إيش تسوي الحصى لكنها آية من آيات الله- عز وجل-: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٧]،

أيضًا من المواقف ومن الأمور البارزة قتال الملائكة مع المسلمين وهذا من تأييد الله بجنده لعباده المؤمنين كانت الملائكة يومئذ تبادر وتسابق المسلمين إلى قتل المشركين قال ابن عباس بينما رجلٌ من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه يعني يركض خلفه يبي يقتله إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس فوقه يقول أقدم حيزوم وما عنده أحد ما حوله أحد، سمع ضربة الصوت وسمع فارسًا يقول أقدم حيزوم، إذ نظر إلى المشرك أمامه مستلقيا، فنظر إليه فإذا هو قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ، فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال -صلى الله عليه وسلم- صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة، يعني من أهل السماوات الثالثة الذين قتلوا هذا الرجل من الملائكة

وقال أبو داوود المازني إني لأتبع رجلًا من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قد قتله غيري.

وجاء رجلٌ من الأنصار بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا لما كان كافرًا قبل أن يسلم فأتي رجل من الصحابة بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا فقال العباس: «إِنَّ هَذَا وَاَللَّهِ مَا أَسَرَنِي، لَقَدْ أَسَرَنِي

رَجُلٌ أَجْلَحُ مِنْ أَحْسَنِ النّاسِ وَجْهًا، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ مَا أَرَاهُ فِي الْقَوْمِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيّ أَنَا أَسِرْتُهُ يَا رَسُولَ اللهِّ فَقَالَ اُسْكُتْ فَقَدْ أَيَّدَكَ اللهُ بِمَلَكٍ كَرِيمٍ»، إلى آخر ما يحصل في غزوة بدر حيث نصر الله- عز وجل- المسلمين وأيدهم بنصر من عنده -سبحانه وتعالى-، فكانت هذه الغزوة فرقانًا بين الحق والباطل، وقد سمى الله هذه المعركة الفرقان، يوم الفرقان يوم التقى الجمعان لأن الله- تعالى- فرق به بين التوحيد والشرك، وبين الحق والباطل، رفع الله الحق إلى قيام الساعة بهذه الغزوة وخفض الشرك والباطل إلى قيام الساعة، هذه الغزوة التي صارت في رمضان ولم يكن عند المسلمين استعداد ومع ذلك نصرهم مع قلة عدد وعتاد، ولم يكن للمسلمين عندهم استعداد لها ليربي الله- تعالى- في عباده أن النصر من عنده -عز وجل-، ينصر عباده الموحدين.

هذه الغزوة تنبيه للمسلمين حكامًا ومحكومين إلى أن العز بيد الله- عز وجل- وأن النصر بيده -عز وجل-، وأن القوة بيده -عز وجل-، وأن المسلمين إذا عادوا إلى ربهم أيدهم بنصره وتمكينه – عز وجل – وقوته،

وأما ما يحصل اليوم من ذل للمسلمين وتسلط على رقابهم من قبل الأعداء من أهل الكفر وأهل البدع والفسق والفجور إنما بسبب البعد عن السنة بسبب البعد عن المنهج السلفي الذي هو بعد الله سببٌ لعز المسلمين وسببٌ للتمكين في الأرض المبني على توحيد الله وعلى الإيمان الصادق وعلى الاتباع الصحيح لمحمد -صلى الله عليه وسلم-، ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧]

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور: ٥٥]

ما تسلط هؤلاء الفجار وهؤلاء الفساق من أهل البدع من تكفريين ومن داعش وغيرها على رقاب أهل السنة إلا بسبب المعاصي والذنوب، ولنعلم أيضا أن تلكم الرايات التي ترفع في هذه الأزمان رايات غدر، ورايات خيانةٍ للإسلام والمسلمين، رايات تضع يدها مع الرافضة وتقودها الاستخبارات العالمية الحاقدة على الإسلام والمسلمين، وإن ادعت أنها تجاهد فهم والله كما أخبر عنهم النبي –صلى الله عليه وسلم– يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان خوارج مارقة،

وأولئك الصليبيون هم أعداءٌ من الأساس ولكن وجدوا بغيتهم في هؤلاء الأغبياء التكفيريين الخوارج، تديرهم الاستخبارات العالمية وتضحك على رقابهم بأنهم يقاتلون ويجاهدون وهم قد وجدوا بغيتهم فيهم وسرقة مقدرات المسلمين وأموال المسلمين وإضعاف شوكة المسلمين بهم.

فلا عز للمسلمين أهل السنة اليوم وكل يوم إلا بالرجوع إلى التوحيد الخالص وإلى الإيمان الصادق وإلى الاتباع الصحيح للرسول –صلى الله عليه وسلم– إلى أن نعبد الله حقًا فيرى الله منا خضوعًا له وانقيادًا لأمره وأمر رسوله، متواضعين لله منقادين لأمره وأمر رسوله –صلى الله عليه وسلم– نغار على دينه وعلى سنة نبيه، نُحكم طريقة سلفنا الصالح فينا من الخلفاء الراشدين والصحابة الأكرمين، والصحابة والسلف الصالحين، كما قال الإمام مالك: **"لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"**، وما صلح أول المسلمين إلا بالإيمان الصادق والتوحيد الخالص والاتباع والانقياد لأمر الله –تعالى– وأمر رسوله –صلى الله عليه وسلم–.

ونسأل الله- عز وجل- أن يمن علينا وعليكم بالإخلاص والاتباع والصدق والعلم النافع وأن يبصر المسلمين بدينهم وأن يردهم حكامًا ومحكومين يردهم إلى دينه وإلى سنة نبيه، وليعلموا أعداءهم ويفرقوا بين العدو والصديق وبين الطريق الذي يوصل إلى النصر- وبين الطريق الذي يُضعف شوكتهم ويقوي عليهم أعداءهم والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net

وجزاكم الله خيرا.